# مقاربات فكرية بين بعض النصوص المسمارية والآيات القرآنية

**المدرس المساعد حسن حبيب عبيد**
**جامعة البصرة/ كلية الآداب/قسم التاريخ**

**الملخص**:-

يتناول البحث دراسة لبعض نواحي الفكر الديني عند العراقيين القدماء من خلال النصوص المسمارية ذات الطابع الديني, وايجاد بعض المقاربات بين هذا الدين وما ورد من تفسيرات لبعض آيات القران الكريم والبحث عن نصوص تدل على نضوج الفكر الديني في الديانة العراقية القديمة. ساعً في ذلك ايجاد دراسة قد تكون بسيطة للبحث عن جذور لمحة التوحيد فيها او ما تشكل عنه من تمظهر في النصوص المسمارية .

قُسمت الدراسة الى مبحثين رئيسيين, تناولت في المبحث الاول فلسفة الخلق في فكر العراقيين القدماء من خلال النصوص التي عُثر عليها في مدن العراق القديم من خلال الادب ( الاساطير والملاحم والقصص ) وكل ما يتعلق بنشوء الخليقة. اما فيما يخص المبحث الثاني فقد تناولنا فيه المقاربات الفكرية بين ما جاء في النصوص المسمارية وبين الدين الاسلامي مستشهداً ببعض الآيات القرآنية وتفسيرها, لتوضيح حالة التقارب بينهما .

## المقدمة:-

تعدُ حضارة بلاد الرافدين واحدة من اقدم الحضارات في العالم, وكانت تحمل ثقافة ذات قيمة حقيقية, ولديهم اقدم ديانة منظمة ومعروفة حتى الان, حيث احتوت على عقائد مختلفة وصلت الينا بطرق عدة, إذ كان للدين أهمية قصوى في حياة سكان بلاد الرافدين, حيث إن المعتقدات والافكار الدينية تُعد من أهم العوامل المؤثرة في حياة الاسرة والفرد وهي التي تُحدد الاطار العام لسلوك الانسان وحياته, فقد أثرت بشكل مباشر في عاداته وتقاليده وأعرافه وقوانينهُ كما لها الاثر حتى في الجوانب السياسية والثقافية, ومن خلال دراسة الادبيات ( القصص والاساطير والملاحم ) التي عُثر عليها في مدن العراق القديمة من قبل علماء الآثار, نجدُ ادبً يُعبر عن اعلى معاني القيم الاخلاقية وكُتب بصورة ادبية رائعة, وعند قراءتها بشكل معمق نجد فيها من معاني الخير والصدق والنظام والعدالة والحرية والصلاح وكل اشكال القيم الانسانية المُثلى, ومن تلك الادبيات ملحمة جلجامش وقصة الخليقة البابلية وقصة حادثة الطوفان ابرز تلك القصص وعند تفحصها نجد في بعض جوانبها افكار قريبة من الرسلات السماوية .

يتناول البحث دراسة لبعض نواحي الفكر الديني عند العراقيين القدماء من خلال النصوص المسمارية ذات الطابع الديني, وايجاد بعض المقاربات بين هذا الدين وما ورد من تفسيرات لبعض آيات القران الكريم والبحث عن نصوص تدل على نضوج الفكر الديني في الديانة العراقية القديمة. ساعً في ذلك ايجاد دراسة قد تكون بسيطة للبحث عن جذور لمحة التوحيد فيها او ما تشكل عنه من تمظهر في النصوص المسمارية .

قُسمت الدراسة الى مبحثين رئيسيين, تناولت في المبحث الاول فلسفة الخلق في فكر العراقيين القدماء من خلال النصوص التي عُثر عليها في مدن العراق القديم من خلال الادب ( الاساطير والملاحم والقصص ) وكل ما يتعلق بنشوء الخليقة. اما فيما يخص المبحث الثاني فقد تناولنا فيه حالة النضوج الديني في ذلك الفكر وايجاد مقاربات بينه وبين الدين الاسلامي مستشهداً ببعض الآيات القرآنية لتوضيح حالة التقارب بينهما.

### المبحث الاول

### فلسفة الخلق عند العراقيين القدماء

لقد كان للطبيعية اثر كبير في حياة الفرد العراقي القديم مما دفعهُ الى التفكير في ماهية الموجودات وكيفية نشوئها لذلك بدأ يبحث عن حلول لتلك الظواهر الطبيعية[١], وجاء في اهم تلك التأملات كيفية الخلق واصل الاشياء وخلق الانسان واصل العمران حيث ان الكثير من هذه التساؤلات نُقلت لنا عن طريق ادب بلاد الرافدين[٢] . وكان من اهم تلك الافكار:

**أولاً** : كانت فلسفتهم ونظرتهم لخلق الكون, في البدء كان " البحر الاول" وهو اصل الوجود , وان هذا البحر ولد الجبل الكوني [٣]. حيث جاء قصة الخليقة البابلية ( أينما أيلش)

**"حينما في العُلى لم ينبأ عن السماء ( لم تسم باسم)**

**وفي الدنى الاسفل لم تذكر الارض باسم**

**وحينما كانت مياه " ابسو " الموجود الاول والدهم**

**والام " تيامه" والدة جميعهم ,**

**ولم يكن وجد اي مرعى ولا يرى اي شيء ولا يرى اي شيء حتى هور قصب"**[٤]

اذن حسب العقيدة السومرية والبابلية ان المياه هي اصل الوجود.

**ثانياً**: اعتقد العراقيون القدماء بأن الكون (An-Ki) كان في الاصل كتلة واحدة ثم انفصلا فيما بعد الى قسمين واصبحت (An) السماء و(Ki) الارض[٥]. حيث جاء في اسطورة الفصل:

**" عندما فصلت السماء عن الارض**

**بعدما كانت ملتصقتين ظهرت الالهة الام**

**وبعدما وضعت الارض وثبتت مكانتها**

**وبعدما وصعت الالهة قواعد السماء والارض**

**وبعدما نظمت الالهة الجداول والقنوات وثبتت شواطئ دجله والفرات جلست الالهة آن واناليل.اوتو. انكي".**[٦]

**ثالثاً** : كما اعتقد العراقيون القدماء ان الانسان خلق من طين وفي الرواية البابلية خلق من طين ممزوج بدم الالهة[٧], حيث جاء في اسطورة سميت تعويذة للولادة –خلق الانسان, والتي ترقى الى العصر البابلي القديم حيث تبدأ بخطاب موجه الى الالهة الخالقة "مامي" جاء فيها:

**" انت الرحم الاول الازلي. انت خالقة البشرية فاخلقي (للو) الانسان ليحمل النير. فتحت ننتو فاها وخاطبت الالهة العظام قائلة " الي يرجع صنع كل شيء لائق متقن. فليكن الانسان من طين ولتدب فيه الحياة بالدم"**[٨] .

**رابعاً** : ان الانسان خلق من اجل ان يعبدُ الالهة ويقيم معابدها ويخصها بالنذور والقرابين[٩] , حيث جاء في احدى الاساطير التي تُشير الى ذلك:

**" حينما فصلت السماء عن الارض,**

**وخلقت الارض**

**وعينت مصائر السماء**

**وحين حددت ضفاف دجله والفرات**

**ووجهت الجداول والانهار في مجاريها الصحيحة**

**حينا ذاك اجتمع الالهة العظام في المزار المقدس انو واناليل وشمش وآيا وجميع آلهة الانونانكي**

**ونظروا فيما سبق ان خلقوه وتساءلوا فيما بينهم قائلين**

**والان بعد ان قدرت مصائر السماء والارض وحدود ضفاف دجله والفرات ومجاري الانهار والجداول فما عسانا ان نفعل ان نخلق غير ذلك ؟**

**فأجاب آلهة الانوناكي الاله انليل قائلين في حارة " اوزموا"**[١٠]

**رباط السماء والارض**

**لنذبح آلهين من آلهة " لمكا" ونخلق من دمها البشر**

**ولنفرض عليهم خدمة الالهة في جميع الازمان"**[١١] .

**خامساً** : اعتقد العراقيون القدماء ان الموت مصير كل انسان ولا يخلد سوى الالهة[١٢]. حيث جاء في رحلة جلجامش وانكيدو في مقطع مقتضب يُشير الى حتمية الموت:

**" هبط انكيدو الى العالم السفلي**

**انه لم يسقط في المعركة مكان الرجولة**

**ان العالم السفلي هو الذي مسك بيده**[١٣]

**كما جاء في اسطورة اخرى**

**"قال اوتونابشتم لجلجامش**

**ان الموت قاسٌ لا يرحم**

**متا بنينا بيتاً يقوم الى الابد**

**متى ختماً عقداً يدوم الى الابد**

**وهل يقتسم الاخوة ميراثهم ليبقى اخر الدهر**

**وهل يرتفع النهر وياتي الفيضان على الدوام**

**ولم يكن دوام وخلود منذُ القدم**

**وما اعظم الشبه بين النائم والميت**[١٤].

**سادساً**: خلع السومريون على كبير آلهتهم الاله "انليل" (آله الهواء) اسماء عديدة للتعظيم والتمجيد, حيث جاء في احدى الاساطير:

**أنليل ذو الامر الواسع المدى الذي كلمته مقدسة**

**الرب الذي لا يرد كلامه الذي يقدر المصائر الى الابد**

**الذي تبصر عيناه المفترستان جميع الاقاليم**

**الذي نوره المتعالي في دخائل قلب جميع البلدان**

**أنليل الذي يجلس مالئاً "المنصة" البيضاء الذي يتبوء المنصة السامية**

**الذي يحكم أرادات القوة والسيادة والامارة**

**إلهه الارض تسجد لهُ خشية ورهبة**

**وتتذلل إلهه السماء أمامهُ "**[١٥]

كما جاء عند البابليين الذين مجدو كبير اربابهم " مردوخ" عدة اسماء للتعظيم بلغ عددها الخمسين. إذ جاء في احدى الاساطير:

**" تون هو مردوخ فيما يخص الفلاحة**

**لوكال هو مردوخ بوصفه آله الينابيع**

**نينورتا هو مردوخ بوصفه اله المعرفة**

**نركال هو مردوخ فيما يخص المعركة**

**انليل هو مردوخ فيما يخص السيادة والاستشارة**

**نابو هو مردوخ فيما يخص الحسابات**

**سين هو مردوخ في كل ما يخص العدالة**

**ادد هو مردوخ فيما يخص المطر**[١٦] .

**سابعاً:** اعتقد البابليون بأن كلمة كبير اربابهم مردوخ على فعل كل شيء سواء في الخلق ام في الفناء[١٧]. كما جاء في جزء مقتطف من اسطورة الاله مردوخ:

**" بينما كان الالهة في هذه الازمنة العصيبة عنت لانشار فكرة سعيدة, اذ تذكر ما يتصف به احد احفاده, وهو "مردوخ " م مهارة وبسالة, فاستدعى ايا ابن مردوخ واعلمه بعزم الالهة على ان يعهدوا اليه بمنازلة " تيامه" فقبل مردوخ الاضطلاع بهذا العمل الجسيم , ولكنه طلب جزاء ذلك ان يتبوأ السلطة العليا المطلقة على جميع الالهة , فوافق على ذلك ابو الالهة "انشار" ولكن لما كان منح مردوخ تلك السلطة خارج صلاحيته الالهية, اقتضى الامر دعوة الالهة الى عقد مجلس شورى , ولما انتظم عقدهم, وبعد ان فرغوا من الوليمة اقاموا منصة لمردوخ, فجلس عليها هذا الشاب قدام ابائه واجداده ليتسلم منهم السلطة , فقد انعقد اجماعهم على نقل سلطتهم وزعامتهم اليه"**[١٨].

**ولكي يطمئن الالهة من ان "مردوخ" حصل على هذه السلطة المطلقة وضعوا في وسطهم رداء , ولما ان فاه مردوخ بكلمة منه اختفى الرداء, وبكلمة اخرى بها عاد الرداء, ولما ان تحقق الالهة من اكتساب مردوخ القدرة المطلقة هتفوا له قائلين( حقاً ان مردوخ ملك)**[١٩] .

بعد طرح ابرز عقائد العراقيين القدماء من خلال أدبياتهم نستشف ان لتلك الاقوام افكار ذات قيمة حقيقية معروفة لحد الان ولديهم اقدم ديانة منظمة وعند دراستها وتحليل بواطنها نجدُ تحليلات ناضجة

للوجود وكيفية تكوينه, واستطاعوا من خلال ذلك التحليل ان يتوصلوا لنتائج قريبة جداً من الواقع, والمثير بالأمر ان لتلك النتائج التي توصلوا لها من حيث خلق الكون والانسان والعبادات وهي قضايا غاية في الصعوبة على اقوام لا تمتلك ابسط سبل التطور التكنلوجي, نجدها قريبة جداً من تفسيرات الديانات السماوية لها, والتفسير الاقرب لهذا الامر وهذه النقلة الحضارية الى ان هذه الافكار ما جاءت الى عن طريق الرسل والانبياء وما هم إلا ورثة (ادم ونوح) عليهم السلام, ولو انه وصلنا فيه الشيء الكثير من التشويش والمغالطات, إلا اننا لا نستطيع ان نتغافل عن الفكرة الاساسية تلك التفسيرات. اذن نستطيع القول ان كثير من ادبيات السومريين والبابليين تحمل الكثير من الافكار والقيم العليا والتي تحتاج الى دراسات جديدة .

**المبحث الثاني**

**مقاربات فكرية بين النصوص المسمارية وآيات القرآن الكريم**

وإذا ما امعنا النظر في دراسة ابرز العقائد السومرية والبابلية التي تطرقنا اليها في المبحث الاول, لا نجد صعوبة كبيرة في مقارنة مضمونها مع ما موجود في القرآن الكريم, إذ لوجدنا فيه الكثير من التشابه من حيث الفكرة الاساسية في الطرح. لذا سيسعى البحث الى التقريب بين تلك العقائد وما جاء في القرآن الكريم مع طرح تفسيرات لآياته من كتب التفسير. وهنا لابد ان نشير الى مسألةً مهمة ان التقريب الذي سوف نُشير له لا نعني به ان الدين الاسلامي قد استمد افكارهُ مما طرحهُ الاقوام العراقية القديمة ولا نقصد ان اللاحق اخذ من السابق, بل ما نعنيه الى ان ارض العراق القديم كانت مهبط للرسل والانبياء منذُ عهد الانبياء "**ادم ونوح وابراهيم**" عليهم السلام, وان سكان هذه الارض تأثروا بالرسلات السماوية ومضامينها التوحيدية التي نزلت على هؤلاء الرسل والانبياء, وبمرور الوقت شابهها نوع من التشويش والبدع .

**اولاً** : ادرك العراقيين القدماء ان اصل الوجود هو "البحر الاول" وانه موجود منذُ الازل[٢٠], بمعنى ان تلك الاقوام الموغلة بالقدم ادركوا ان المياه الاولية هي مصدراً للتكوين, وفي هذا المضمون افرد الباري عز وجل لمسألة الخلق والتكوين ما يُشير الى ان المياه كانت مخلوقة قبل خلق السموات والارض[٢١]. في قوله تعالى (( **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء** ))[٢٢], وجاء في تفسير الآية, الى ان الماء كان موجود قبل خلق السماوات والارض[٢٣] .

**ثانياً** : وان هذا البحر الاول ولد الجبل الكوني المؤلف من السماء والارض وكانا ملتصقين وفصلا فيما بعد بالهواء[٢٤] . وقد جاء في القرآن الكريم ما يُشير الى تلك الفكرة. إذ قال تعالى ((**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**))[٢٥]. فقد جاء في تفسير الآية ان الارض والسماء كانتا ملتصقتين وكان الجميع متصلاً ببعض ومتراكم في ابتداء الامر, ففتق هذه عن هذه اي فصل, فجعل السموات سبعاً والارض سبعاً وفصل بين السماء والارض بالهواء[٢٦]. اما فيما يخص

ذكر الماء فقد جاء في التفسير الى ان الماء دخل عنصراً تاماً في الحياة, وقد اتضح ان ارتباط الحياة بالماء بالأبحاث العلمية الحديثة[٢٧] .

**ثالثاً**: جاءت فكرة خلق الانسان عند العراقيين القدماء انه مخلوق من طين. وقد جاء ما يُشير الى تلك الفكرة في القرآن الكريم . إذ قال تعالى (( **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ** ))[٢٨]. فقد جاء في تفسير الآية, لما ذكر سبحانه الاحياء والامانة والنشأة الثانية عقبة بيان النشأة الاولى (( ولقد خلقنا الانسان)) يعني النبي "ادم" من ((صلصال)) أي من طين يابس[٢٩].

**رابعاً** : وجاء في قصص عبادة العراقيين القدماء " ان الانسان خلق من اجل ان يعبد الالهة", وجاء ذكر هذا المعنى في القرآن الكريم بصيغة التوحيد وليس الشرك مع الله سبحانهُ وتعالى بإلهة اخرى[٣٠]. إذ كان الغرض من خلق البشر للعبادة[٣١], وجاء ما يُشير الى ذلك في قوله تعالى ((**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ))[٣٢], وجاء في تفسير هذه الآية حيث يدلُ في قوله تعالى (( **إلا ليعبدون**)) استثناء من النفي لا ريب في ظهوره في ان للخلقة غرضاً وان الغرض العبادة بمعنى كونهم عابدين لله كونه معبوداً[٣٣] .

**خامساً**: ادركوا ان الموت مصير البشر[٣٤], إذ شغل هذا الحدث تفكير الفرد العراقي القديم وقد تبين ذلك من خلال ما عُثر من نصوص عكست لنا تصوره عن الموت وشكل هاجساً مقلقاً له وعن كيفية موته ونزوله الى العالم الاسفل ومدى رعب ذلك المشهد[٣٥]. وهذا جانب من ذلك التصور:

**" الى اين تمضي يا جلجامش؟**

**الحياة التي تبحث عنها لن تجدها**

**فالالهة لما خلقت البشر**

**جعلت الموت لهم نصيباً "**[٣٦].

وقد جاء ما يُشير الى الموت في القرآن الكريم في قوله تعالى (( **كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ** ))[٣٧], وجاء في تفسير الآية اراد الله ان يبين ان مرجع الخلق اليه, فيجازي المكذبين على اعمالهم من حيث حتم الموت على جميع خلقه, اي تنزيل الموت فيهم لا محاله[٣٨].

**سادساً** : وجود الاسماء الحسنى عقيدة قديمة نجدها عند العراقيين القدماء[٣٩], وقد اشار احد الباحثين الى هذه التعددية في الاسماء ماهي إلا تجليات للاله العالي المسيطر, او مهام من مهامه[٤٠].كما جاء الترتيلة الوارد ذكرها في ص٦.

وقد ورد في القرآن الكريم ما يُشير الى ذلك في قوله تعالى (( **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ))[٤١], وقد جاء في تفسير الآية الكريمة , ان معاني هذه الاسماء له تعالى حقيقية وعلى نحو الاصالة فهو المالك لها وليس لغيره

إلا ما ملكه الله من ذلك, فله سبحانه حقيقة العلم مثلاً وليس لغيره منه إلا ما وهبهُ له وهو مع ذلك له لم يخرج من ملكه وسلطانه.

**سابعاً** : اعطى الالهة العديد من الصفات على كبيرهم الاله " آنو" منها:

أنهُ مقدس, وغير متناهي اي ان لهُ القدرة على الخلق وله القوة الخالقة الكامنة في الكلمة الالهية, وان الكائنات (الالهة العظام) برضى وتقوى ينحنون امامه تلك الالهة التي خلقها الاله العظيم الواحد من اجل ادارة وتدبير الكون, كما وصف "آنو" عادل بكلامه وهي الصفة الرئيسية للإله الواحد الاحد, كما وصف بأن امره سام فوق كل شيء, ولا يتقدم على امره شيء اي ارادته مطلقة وليس من شأن اي احد معارضته, كما ان كلمته اساس السماء والارض فهو بالكلمة اوجد السماء والارض وبكلمته يحافظ عليها, كما وصفهُ بأنه غير محتاج الى احد يضيف له امر لأنه محيط بالأمور وماضيها ومستقبلها[٤٢].

ظل الالهة "آنو" في قيادة الالهة ولكن بعد سيطرة الاقوام الامورية ( البابلية ) وبروز ونمو الحس القومي والميل الى "التفريد"[٤٣], فقد اخذت بعض مظاهر ( آنو وانليل) من قبل الاله "مردوخ"[٤٤], وقد خلع البابليون الكثير من الصفات الكونية على كبير آلهتهم الاله"مردوخ "[٤٥], اذ صور هذا المشهد في التراتيل الدينية . وهذا جزءً منها:

**" وعند اذن حددو الاقدار لمردوخ.....**

**وليكن كلامك ثابت وامرك لا يقاوم**

**ومن بين الالهة ليس ثم احد يتجاوز حدودك**

**كلمتك تدمر وتخلق لا مرد لها**

**ستستجيب البروج لامرك فتهدم**

**وتعود سليمه مره اخرى بكلمتك**[٤٦].

وقد ورد ذكر هذا المضمون في القرآن الكريم في قوله تعالى ((**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**))[٤٧]

**قصة الطوفان**

تعُد حادثة الطوفان واحدة من اهم الاحداث التي كان لها صدى كبير في نفس الفرد العراقي القديم وذكرت في ادبيات العراقيين القدماء, على انها حدثت في عصور موغلة بالقدم وذُكرت في اكثر من مناسبة ومكان, تطرق لها الكثير من الباحثين, افرد الباحث لها موضوعاً خاصاً, وذلك بسبب اهميتها كونها ذكرت على ان الاله "انكي" علم احد البشر وهو (زيو_سدرا) حسب الرواية السومرية و ( اوتوا_ نابشتم) حسب الرواية البابلية, المهم في الامر اننا نجد في هذه القصة تشابه كبير بين تلك الروايات وما ورد في القرآن الكريم.

ان النص السومري لقصة الطوفان ان ( زيو_سدرا) كان يقف الى جوار الجدار عندما سمع صوت اله يهمس ويقول " **ايها الجدار اريد ان اتحدث اليك فاستمع الى كلماتي واصغ الى وصاياي.....**" ثم يخبره بأن

الطوفان آت وانه سيقضي على البشر, ويحدث الدمار في البلاد بسبب هلاك البشر جراء حادثة الطوفان, وقد تضمنت القصة صيغة المتكلم على انه الاله " **انكي**" اله مياه العمق, وامر ( زيو_سدرا) بأن يسرع الاخير بصنع سفينة تنقذه وتنقذ اهله, وفعلاً بعد ذلك بدأ الطوفان وقد اكتسح الارض وانه استمر سبعة ايام وسبع ليال, كان خلالها ( زيو_سدرا) ومن معه قابعين في سفينتهم وسط الامواج الهائجة[٤٨] . نورد جزء مقتضب من القصة:

**" وكانت جميع الزوابع تهجم بعنف وضراوة وهي مجتمعة**

**وفي الوقت نفسه جرف الطوفان مراكز العبادة**

**وبعد ان استمر الطوفان سبعة ايام وسبعة ليال**

**واكتسح الطوفان البلاد**

**وكانت السفينة الضخمة تتقاذفها الاعاصير في المياه الجارفة**

**ظهر اوتو الذي نشر ضوءه على السماء والارض**

**وفتح (زيو_سدرا) شباكاً في الفلك العظيم"**[٤٩]

ونجد مضامين هذه القصة بشكل واضح جداً في القرآن الكريم, في قوله تعالى (( **فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ**)).

**ويقول جيمس فريزر " ان وجود تلك الحادثة ( الطوفان) في سجلات هذه الحضارة هو برهان اكبر على ان هذه المجموعات من الاقوام التي تلقت العلم من وحي الهي واحد عن طريق اخبار العديد من الرسل الذي بعثوا الى حضارات مختلفة على مر العصور"**[٥٠].

ولكون القرآن الكريم هو الكتاب المحفوظ من التغيير والتحريف, كما جاء في قوله تعالى ((**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**))[٥١], صار من الضروري ان نستعين به عند التكلم عن قصص الاقوام القديمة .

في الحقيقة عند تتبع مفاهيم العقائد السومرية والبابلية مع وجود هذا التشابه الكبير ما بينها وبين مضمون القرآن الكريم في مسألة خلق الكون والبشر ومفاهيم العبادة وعلاقة العابد بالمعبود, نجد أنفسنا أمام تساءل مهم وهو في ذلك الزمن السحيق الموغل بالقدم كيف أستطاع السومريين والبابليين صياغة هكذا مفاهيم فكرية شديدة التعقيد؟, ومن ذلك الشخص أو من هؤلاء الذين تمكنوا من بلورة هذا المضمون في الفكر الديني القديم . إذ أنها أفكار لا يمكن أن تُصاغ إلا على أيدي أُناس ضالعين بالحكمة والمعرفة مدركين ما يدور من حولهم قد يكونوا رسل او أنبياء أو مصلحين أو من ذراريهم, وقد ذُكر في القرآن الكريم ما يشير الى أن لكل أمة رسول يقضي بينهم بالقسط ويكلمهم بلسانهم وبطاقة عقولهم. فقد جاء في قوله تعالى ((**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**))[٥٢]

او قد يكونوا من بقايا الاقوام الذين امنوا بالرسل والانبياء الذين نجوا من العقوبات الالهية التي لحقت بأقوامهم, حيث قال تعالى في محكمكم كتابه المجيد (( **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**))[٥٣].

وفي هذا الصدد يقول الدكتور نائل حنون " **طالما كنا نؤمن بتواتر الرسل وأن عدداً منهم لابد أن يكونوا قد عاشوا في عصور هذه الحضارة فمن المعقول الذهاب الى أن من الرسل أو الدعاة قدموا للأقدمين ما عَرَّفهم بمعتقدات صحيحة في فجر ميلاد الفكر الديني**"[٥٤] .

وقبل أن أختمُ حديثي عن الفكر الديني في العراق القديم وما يتعلق بوجود اناس ذوي معرفة وحكمة من أنبياء ورسل طول فترات التاريخ, يجول في خاطري تساءل أجدهُ محير, إذ إنهُ رغم الكم الهائل من الوثائق والرقم الطينية التي عثر عليها في مدن العراق القديمة, لماذا لم يعثر على معلومات تشير الى هؤلاء الاشخاص الذين دعوا أقوامهم الى عبادة الله سبحانهُ وتعالى؟ .

## الخاتمة

- جاء في النصوص المسمارية ومن خلال الادب الرافديني ان في البدء كان الكون كتلة واحدة وان الاله انليل قام بعملية الفصل واصبح فيما بعد السماء والارض, وقد جاءت الفكرة في القرآن الكريم في قوله تعالى (( **ان السماوات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما**.....)), وهنا نرى تشابه كبير في فلسفة خلق الكون.
- ان وجودها التشابه في فكر العراقيين القدماء وما جاء في القرآن الكريم يدعوننا الى القول ما هو إلا ارث الانبياء والمرسلين الذين ارسلهم الله سبحانه وتعالى لهداية البشر الى دين التوحيد , ولكن بعد طول الامد وبعدوا عن عصر النبوة كثر فيهم الجهل, وشاعت فيهم الاراء الفاسدة .
- عكست النصوص المسمارية ما يروى قصص انبياء ورسل ودلت هذه النصوص على انهم عاشوا على ارض بلاد الرافدين ودونت قصصهم بقدر ما استوعبتها اذهان الفرد العراقي القديم, ومن هذه القصص قصة سيدنا نوح ( زيوسدرا السومري ) ومسائل خلق الكون وملحمة كلكامش .
- رغم حالة الشرك الموجودة في الديانة العراقية القديمة, لكن ملامح التوحيد كانت حاضرة فيها, لكن بشكل مشوش او قد أُريد ارباك مشهدهُ كأن يكون لأسباب دينية تتعلق بدور كهان المعابد, او لا سياسية أُريد منها تغييب الفكر الذي يحمل دعوات لعبادة الله سبحانهُ وتعالى .

- أننا لا نريد الجزم ان الاقوام العراقية القديمة كانت على طول عصورها عرفت الله سبحانه وتعالى وعبدتهُ وأمنت بفكرة التوحيد, لكن في نفس الوقت لكن لا نشاطر الآراء التي تجزم ان العراقيين القدماء لم يصلوا في فترة من مددها التاريخية معرفة الباري عز وجل .
- يتفق اغلب الباحثين في تاريخ العراق القديم ان يد التنقيب والبحث والتحري لم تصل الى اكثر من ٩٠% من المدن العراقية الاثرية ولو ما ان كشف النقاب عن تلك المواقع سيفتح لنا الكثير من المعلومات عن ديانة وفكر العراقيين القدماء.

## الهوامش

(١) رشيد, فوزي, المعتقدات الدينية, ضمن كتاب حضارة العراق, ج١, ١٩٨٥, ص ١٤٥.الشيخلي , عبد القادر عبد الجبار, الوجيز في تاريخ العراق القديم,( بيروت: دار الرافدين, ٢٠١٤),ط١, ص ٢٦٣.

(٢) باقر, طه, مقدمة في ادب العراق القديم, ( بغداد: دار الحرية للطباعة, ١٩٧٦) , ص ٦٩.

(٣) كريمر, صموئيل نوح, من الواح سومر, ترجمة طه باقر,( بغداد: بيت الوراق, ٢٠١٠), ص١٦٢. الخطيب, عبد الرحمن يونس, المياه في حضارة وادي الرافدين,( بغداد: بيت الحكمة, ٢٠١٤),ط١, ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٤) باقر, مقدمة في ادب, ص ٧٤-٧٥.

(٥) علي, فاضل عبد الواحد, من الواح سومر الى التوراة, ( بغداد: دار الشؤون الثقافية, ١٩٨٩), ص ١٠٨.

(٦) رشيد, فوزي, خلق الانسان في الملاحم السومرية والبابلية, مجلة افاق عربية, العدد٩, ١٩٨١, ص١٧.

(٧) علي, من الواح سومر, ص ١٠٨.

(٨) باقر, مقدمة في ادب, ص ٨٥.

(٩) الكيلاني,رعد شمس الدين, الانبياء في العراق,( بغداد: دار الشؤون الثقافية, ٢٠٠١), ط١, ص٥٤.

(١٠) اوزوموا: اسم الحارة المقدسة في مدينة نيبور التي توصف بأنها رباط السماء او واسطة الاتصال ما بين الارض والسماء.باقر, مقدمة في ادب, ص ٨٧.

(١١)(١١) باقر, المصدر نفسه, ص ٨٧-٨٨.

(١٢) الكيلاني, الانبياء, ص ٥٤.

(١٣) كريمر, صموئيل نوح, السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم, ترجمة فيصل الوائلي,( بيروت: مكتبة الحضارات,د.ت), ص ٢٨٨.

(١٤) باقر, طه, ملحمة جلجامش,( بغداد: دار الحرية للطباعة, د.ت) , ص ٨٧.

(١٥) كريمر, من الواح سومر, ص ١٧٥.

(١٦) لابات, رينيه, المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين,ترجمة الاب البير ابونا( بغداد: دار نجم المشرق, ٢٠٠٤), ص ٩٨.

(١٧) الكيلاني, الانبياء, ص ٥٤.

(١٨) باقر, مقدمة في ادب, ص ٧٧-٧٨.

(١٩) باقر, مقدمة في ادب, ص ٧٨.

(٢٠) الخطيب, المياه, ص ٢٤٦.

(٢١) الخطيب, المصدر نفسه, ص ٢٥٤.

(٢٢) سورة هود, الاية ٧.

(٢٣) الطباطبائي, تفسير الميزان, ج٨, ١٥٩.

(٢٤) كريمر, من الوح سومر, ص١٦٢. الخطيب, المياه, ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٢٥) سورة الانبياء, اية ٣٠.

(٢٦) الطبري, تفسير الطبري,٣٢٤.

(٢٧) الطباطبائي, تفسير الميزان, ج١٤, ص ٢٧٩.

(٢٨) سورة ص, اية ٧١ .

(٢٩) الطبرسي, مجمع البيان,ج ٥, ص ١١٣

(٣٠) الكيلاني, الانبياء, ص ٥٥.

(٣١) القيسي, محمد فهد, قصص الخليقة في العراق القديم بين المعطيات المسمارية والكتاب المقدس والقرآن الكريم. دراسة مقارنة, رسالة ماجستير, جامعة واسط,٢٠٠٦, ص ١٨٨ .

(٣٢) سورة الذاريات, الاية ٥٦.

(٣٣) الطباطبائي, الميزان, ج١٨, ص٣٨٦.

(٣٤) الكيلاني, الانبياء, ص ٥٥ .

(٣٥) الحصونه, نعيم الرضوي, ملامح التوحيد في الديانات العراقية القديمة, مراجعة أ.د. عادل هاشم علي, ( لبنان: دار الفيحاء, ٢٠١٩), ص ٥٨ .

(٣٦) السواح, فراس, كنوز الاعماق قراءة في ملحمة جلجامش, ط١(العربي للطباعة والنشر, ١٩٨٧), ص١٨٥-١٨٦.

(٣٧) سورة آل عمران, الآية ١٨٥.

(٣٨) الطبرسي, مجمع البيان, ج٢, ص ٤٦٤.

(٣٩) الكيلاني, الانبياء, ص ٥٥ .

(٤٠) الحصونه, ملامح التوحيد, ص٩٣.

[٤١] سورة الاعراف, الاية ١٨٠ .

[٤٢] الحصونه, ملامح التوحيد, ١٣٧-١٤٠.

[٤٣] التفريد : هو مرحلة متوسطة بين الشرك والتوحيد لانه يتضمن الاعتقاد بوجود آله واحد دون منع الاتقاد بالإلهة الاخرى, اي ان ظاهرة تعدد الالة تبقى جنباً الى جنب مع عبادة اله معين يخصهُ القوم بالتكريم اكثر من غيره. الدباغ, تقي, إلهة فوق الارض, مجلة سومر, العدد ٢٣,ج١-٢, ( بغداد: مديرية الاثار العامة, ١٩٦٧), ص١٠٣.

[٤٤] ساكز, هاري, عظمة بابل, ترجمة عامر سليمان, ( بغداد: دار الكتب للطباعة والنشر, ١٩٧٩), ص ٣٦٧-٣٦٨.

[٤٥] الكيلاني, الانبياء, ص ٥٤ .

[٤٦] الحسيني الحسيني, معدى, الاساطير السومرية,ط١( القاهرة: كنوز, ٢٠١٢), ص٩٤-٩٥ .

[٤٧] سورة يس, الآية ٨٢ .

[٤٨] علي, فاضل عبد الواحد, ثم جاء الطوفان,مجلة سومر, مج٢١,(بغداد:مديرية الاثار والتراث,١٩٧٥), ص٦-.

[٤٩] كريمر, من الواح سومر, ص٣١٠.

[٥٠]فريزر, جيمس جورج, الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين, ط١, ترجمة نايف الخوص, (دار الفرقد, ٢٠١٤) .البحراني, زينب محمد ابراهيم, المعتقدات الدينية للاقوام القديمة في القرآن الكريم. دراسة تاريخية ( سكان بلاد الرافدين مثالاً), رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة البصرة, كلية التربية للبنات,٢٠٢٠, ص ١٨ .

[٥١] سورة الحجر, الآية ٩ .

[٥٢] سورة ابراهيم, الآية ٤ .

[٥٣] سورة مريم, الآية ٥٨ .

[٥٤] حنون, نائل, تطور الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين القديمة, مجلة العميد , العدد ١١, ( ايلول ٢٠١٤), ٣٧٠.

قائمة المصادر


- القرآن الكريم

١- باقر, طه, مقدمة في ادب العراق القديم, ( بغداد: دار الحرية للطباعة, ١٩٧٦

٢- باقر, طه, ملحمة جلجامش,( بغداد: دار الحرية للطباعة, د.ت).

٣- البحراني, زينب محمد ابراهيم, المعتقدات الدينية للاقوام القديمة في القرآن الكريم. دراسة تاريخية ( سكان بلاد الرافدين مثالاً), رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة البصرة, كلية التربية للبنات .

٤- الحسيني الحسيني, معدى, الاساطير السومرية,ط١( القاهرة: كنوز, ٢٠١٢).

٥- الحصونه, نعيم الرضوي, ملامح التوحيد في الديانات العراقية القديمة, مراجعة أ.د. عادل هاشم علي, ( لبنان: دار الفيحاء, ٢٠١٩).
٦- حنون, نائل, تطور الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين القديمة, مجلة العميد , العدد ١١, ( ايلول ٢٠١٤).
٧- الخطيب, عبد الرحمن يونس, المياه في حضارة وادي الرافدين, ط١( بغداد: بيت الحكمة, ٢٠١٤) .
٨- الدباغ, تقي, إلهة فوق الارض, مجلة سومر, العدد ٢٣,ج١-٢, ( بغداد: مديرية الاثار العامة, ١٩٦٧).
٩- رشيد, فوزي, المعتقدات الدينية, ضمن كتاب حضارة العراق, ج١, ١٩٨٥.
١٠- رشيد, فوزي, خلق الانسان في الملاحم السومرية والبابلية, مجلة افاق عربية, العدد٩, ١٩٨١.
١١- ساكز, هاري, عظمة بابل, ترجمة عامر سليمان, ( بغداد: دار الكتب للطباعة والنشر, ١٩٧٩).
١٢- السواح, فراس, كنوز الاعماق قراءة في ملحمة جلجامش, ط١(العربي للطباعة والنشر, ١٩٨٧).
١٣- الشيخلي , عبد القادر عبد الجبار, الوجيز في تاريخ العراق القديم, ط١( بيروت: دار الرافدين, ٢٠١٤)
١٤- الطباطبائي, محمد حسين, الميزان في تفسير القرآن,ج١٨,(بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات,١٤١٧ه).
١٥- الطباطبائي, محمد حسين, الميزان في تفسير القرآن,ج٨,(بيروت:مؤسسة الاعلمي للمطبوعات,١٤١٧ه).
١٦- الطبرسي, ابو علي الفضل بن الحسن, مجمع البيان في تفسير القرآن, ج٢, ( بيروت: دار المرتضى, ١٤٢٧ه), .
١٧- علي, فاضل عبد الواحد, ثم جاء الطوفان,مجلة سومر, مج٢١,(بغداد: مديرية الاثار والتراث,١٩٧٥).
١٨- علي, فاضل عبد الواحد, من الواح سومر الى التوراة, ( بغداد: دار الشؤون الثقافية, ١٩٨٩) .
١٩-فريزر, جيمس جورج, الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين, ط١, ترجمة نايف الخوص, (دار الفرقد,٢٠١٤)
٢٠-القيسي, محمد فهد, قصص الخليقة في العراق القديم بين المعطيات المسمارية والكتاب المقدس والقرآن الكريم. دراسة مقارنة, رسالة ماجستير, جامعة واسط,٢٠٠٦.
٢١-كريمر, صموئيل نوح, السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم, ترجمة فيصل الوائلي,( بيروت: مكتبة الحضارات,د.ت).
٢٢-كريمر, صموئيل نوح, من الواح سومر, ترجمة طه باقر,( بغداد: بيت الوراق, ٢٠١٠).
٢٣-الكيلاني,رعد شمس الدين, الانبياء في العراق, ط١( بغداد: دار الشؤون الثقافية, ٢٠٠١) .
٢٤-لابات, رينيه, المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين,ترجمة الاب البير ابونا( بغداد: دار نجم المشرق, ٢٠٠٤).